

نفاذ الإجراء الصحيح

لفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن سعد آل خنين*

ومثال ما يتخذُه غير هؤلاء: شهادة الشاهد، فلاذاتها إجراءات شكلية لا بد من اتباعها، كأن تكون في مجلس الحكم وإذن القاضي في سماعها عند البداية في لقائها عليه.

نفاذ الإجراء الصحيح:

هذه المادة تعني: أن كل إجراء من إجراءات الدعوى منذ رفعها حتى تمامها بحكم نهائي تم صحيحاً في ظل الأنظمة السابقة - فإنه يبقى صحيحاً ولا يبطل شيء منه. لأن الأحكام لا تتعطف، بل يكون جريانها اقتضاراً من نفاذها.

ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ [البقرة: ١١٣]، فهذه الآية نزلت بعد نسخ القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة، وأخبر الله عز وجل بأن ما تم من صلاة المؤمنين قبل نسخ القبلة فهو صحيح معتمد به (٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: «بينما الناس ببقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة» (٣).

فقد استدار المصلون لما بلغهم خبر تغيير جهة الكعبة، وبنوا على ما مضى من صلاتهم، فدل ذلك على نفاذ ما تم صحيحاً من القضية وإجراءات، وأن ما يستجد من أحكام لا يتعطف على ما مضى بالبطلان، بل يقتصر العمل به على ما يستأنف منها، يقول النووي «ت: ٦٧٦هـ، تعليقا على هذا الحديث: وفيه دليل على أن النسخ لا يثبت في حق المكلف حتى يبلغه» (٤).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله وحده،
والصلاة والسلام على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فهذا شرح للمادة الثالثة من نظام
المرافعات الشرعية، ونصها:

«كل إجراء من إجراءات المرافعات تم صحيحاً في ظل نظام معمول به يبقى صحيحاً، ما لم ينص على غير ذلك في هذا النظام.»

الشرح

الإجراء في اللغة:

مصدر من الفعل «أجرى، وأصله «جرى» - الجسيم، والراء والياء - وهو انسياح الشيء ومنه: جرى الماء، أي: سأل (١)، والمراد به هنا: التصرف الذي يتخذُه القاضي أو أعيانه أو الخصوم أو غيرهم ممن لهم تعلق بالدعوى لأجل تسييرها وفقاً لأحكامها المقررة في المرافعات شرعية أو نظامية. والإجراء هنا ليس هو الشكل، بل الإجراء أوسع، ذلك بأن الإجراء عمل يجب أن تتوفر فيه شروط معينة - كل إجراء بحسبه - منها الشكل الذي يحدده الشرع أو النظام.

مثال ما يتخذُه القاضي: ضرب مدة للخصم لإحضار بينته.

ومثال ما يتخذُه أعيان القاضي: تبليغ المحضر للخصم بموعد الجلسة.

ومثال ما يتخذُه الخصوم: حلف اليمين، فلها إجراءات شكلية لا بد من الالتزام بها، ككونها في مجلس الحكم، ويطلب الخصم، وحضوره.

(١) الذين أتياهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق ﴿ [البقرة: ١٧٦]، إلى قوله: ﴿ فلا تكونن من الممتريين ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ٤/ ١٦٣٤، وباب: ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وأنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة: ١٤٩]، ٦/ ٢٦٤٨، كتاب التعمين، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض، وأخرجه مسلم ١/ ٣٧٥، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

(٢) شرح صحيح مسلم ١/ ٩٠.

(١) مقاييس اللغة ١/ ٤٤٨، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٩٧.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ١/ ١٥١، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ١٥٠.

(٣) متفق عليه، فقد أخرجه البخاري واللفظ له ١/ ١٥٧، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة فصلى إلى غير القبلة، ٤/ ١٦٣٣، كتاب التفسير، باب: ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة: ١٢٥]، إلى قوله: ﴿ إنك إذا لمن الظالمين ﴾، ٤/ ١٦٣٣، وباب:

* القاضي بمحكمة التمييز بالرياض